جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التربية الفنية

المرحلة : الثانية صباحي

عنوان المحاضرة : مراحل النمو الفكر الفلسفي عند اليونان

مدرس المادة : م.د.ياسين فرج ياسين

٢٠٢٣ ــ ٢٠٢٤

عندما بدأ العقل الإنساني بالتفكّر في الكون ونشْأته، راح يطرح تفسيرات وتعليلات محاولاً من خلالها فهم ماهيّة هذا الكون، وما يطرأ عليه من متغيّرات. قبل ذلك، كانت الأساطير ولاهوتيات الكهّان والشعراء هي التي تتحدث عن نشأة الكون مبتعدة عن أي تفسيرٍ طبيعيٍّ أو علمي للأشياء، في زمنٍ كان الإنسان خاضعاً لسيطرة عشرات "الآلهة" التي أفرزتها تخيّلاته.

ومن هنا، أطلقت العقول تشريعاتها للتفكير في أبسط تفصيلات الحياة والكون والفنّ، بل والتفكير بالتفكير ذاته، أي في طبيعة التأمل وتحليل الأشياء وتفسيرها.

بدأت الرحلة وبدأت معها التساؤلات لفهم وجود الأشياء ومجالاتها والطرق المؤدّية إليها، وماهية ما وراء الأشياء، والغوص في المبادئ والقيم الجوهريّة للفرد، والتي تعبر عن نشأته وتربيته وأخلاقه، ونظرته لمفاهيم وقيم الحق والخير والجمال.

نشأة الفلسفة في اليونان

نشأت الفلسفة اليونانية وتأسست في القرن السادس قبل الميلاد، واستمرت خلال الفترة الهلنستية، وعُدّت نقطة التحول الأولى في الفكر الفلسفي بالنسبة لفلسفة الغرب، حيث تناولت مجموعة واسعة من الموضوعات مثل: علم الوجود، والبلاغة، ونظرية المعرفة، والأخلاق، والمنطق، وعلم الأحياء، والجمال.

ولكن، هل كان ثمّة تأثيرٌ خارجيٌ على نشأة الفلسفة اليونانية؟

تؤكد أغلب الأبحاث أن الفلسفة اليونانية تأثرت إلى حد ما بأدب الحكمة الأقدم؛ وهو نوع من الأدب الشائع الذي تناول نشأة الكون الأسطورية عند شعوب الشرق الأدنى القديم (بلاد الرافدين وسوريا ومصر).

وفي صدد هذا التأثير. يقول المؤلف الكلاسيكي مارتن ليتشفيلد ويست: "ساعد الاتصال بعلم الكونيات واللاهوت الشرقيين على تحرير خيال الفلاسفة اليونانيين الأوائل؛ ومن المؤكد أنَّه أعطاهم العديد من الأفكار الإيحائية. لكنهم علَّموا أنفسهم التفكير في العقل والنقاش حول جوهر ما وراء الأشياء".

ولكن هذا وحدهُ لا يكفي لانطلاق الحرية الفكرية، فقد كان لظهور الفلسفة في اليونان القديمة أسباب عدة ساهمت جميعها في أن تجعل الأرض اليونانية مهدًا لها دون غيرها من الممالك والدول والحضارات والأمم. وهي ذاتها الأسباب التي ساعدت في قيام الحضارة الإغريقية، حيث أنَّ الانتقال الكبير من نظام الحكم الدكتاتوري إلى النظام الديمقراطي والدولة المدنية، سمحَت للناس بحرية التفكير والتعبير وطرح الكثير من القضايا الحسَّاسة وغير الحسَّاسة، ومناقشتها بشكل علني دون خوف أو حرج، مع إمكانية إجراء الحوارات والمناقشات والجدالات الفكرية.

كما وأنَّ التحوّل الذي طرأ على المجتمع ونقله من النمط الرعوي والزراعي إلى النمط التجاري والصناعي، أفرز طبقات اجتماعية جديدة إلى جانب طبقة النبلاء، كالتجار والصناعيين وأرباب الحرف والملَّاحين الكبار. نتج عن هذا الازدهار الاقتصادي رخاء مالي واجتماعي وسياسي وفكري، وزيادةٌ في مظاهر الغنى وإسناد مختلف الأعمال إلى طبقة العبيد، والتفات بقية فئات الشعب الإغريقي عموماً إلى الفنون والعلوم والسياسة. كلّ ذلك ساهم أيضاً في ظهور الفلسفة.

عوامل ولادة الفلسفة اليونانية

كان للحرية السياسية والاقتصادية دورٌ كبيرٌ في نشوء الفلسفة اليونانية ولكنها لم تكن الركيزة الأساسية، إذ كان للعوامل الثقافية التي شهدتها المدن اليونانية الفضل الرئيس في ولادة الفلسفة. فانتشار العلوم مثل الرياضيات والفلك وغيرهما، مثّل الركيزة الأساسية في ظهور الفلسفة، فالفلاسفة أنفسهم كانوا في البداية علماء في مختلف المجالات. كما وأنّ الانفتاح على ثقافة الحضارات الأخرى كالفينيقية والبابلية والمصرية، ساعد علماء اليونان كثيراً في تطوير الآداب والعلوم وتوسيع ثقافتهم، فبرز فيثاغورس في الرياضيات، وهوميروس في الأدب، وأسخيليوس في المسرح، وأبقراط في الطب، وانتعش التاريخ على يد هيرودوت... كل ذلك مهّد لولادة الفلسفة وتطور وتنوع نظرياتها.

مراحل الفلسفة اليونانية ومدارسها

المرحلة الأولى: ما قبل سقراط

كانت المدرسة الأيونية هي الرائدة في مرحلة النشوء الأولى والتي يشار إليها بـ مرحلة ما قبل الفيلسوف سقراط، و"أيونيا" هو الاسم الذي كان يطلق على جزيرة تقع في بحر إيجة بين اليونان وتركيا، وتميزت بكونها مهد العلم والفلسفة الغربية. وعُرفت الفلسفة في هذه الحقبة المبكِّرة بالابتعاد عن الخرافة والأسطورة والاقتراب من العلم. كما كانت ما تزال نشاطاً ذهنياً منظماً قائماً على الالتصاق بالطبيعة، والتجربة العلمية.

ومن أبرز الفلاسفة في المدرسة الأيونية هم: طاليس، أنكسيماندر، وأنكسيمانس. (فلاسفة الطبيعة/ الفلاسفة الطبيعيون) وقد طوَّروا أفكارهم حول الكون، وهم من العلماء الماديين. أي أنَّهم كانوا يعتقدون بأنَّ الأرض وكل شيء آخر في هذا الكون أصله أو جوهرهُ من المادة -بدلاً من الروح- أي أنَّهم بحثوا في أصل المادّة، وليس في القوى الغيبية الخارقة.

ومع ذلك اختلفت آراؤهم حول ماهية هذه المادة؛ فطاليس (نحو ٦٢٤ق.م- نحو ٥٤٦ق.م) يعتقد أنَّ الأصل هو الماء، في حين يعتقد أنكسيماندر (٦١٠ ق.م- ٥٤٦ ق.م) بأنَّها "اللامتعيّن"، بينما اقترح أنكسيمانس أنَّ أصل الكون هو الهواء.

وإذا ما أخذنا برأي طاليس في أن أصل الكون هو الماء؛ فمن أين استمد رائد المدرسة الأيونية هذه الفكرة؟ وكيف اعتقد أنَّ الماء هو جوهر كل شيء في الكون؟

لطالما سطّر البابليون والفراعنة الأساطير حول الماء وألوهيته وعظمته، فلا يمكن التسليم بالادّعاء الغربي أنَّ طاليس هو صاحب الفرضية الأساسية، ولكنَّ الجديد في فكر طاليس أنَّه قدّم تفسيرات منطقية لكون الماء يحمل احتمالية أن يكون أصل الوجود، وهو منهج استقرائي مختلف عن المنهج الأسطوري عند البابليين والفراعنة.

ففي الأسطورة البابلية التي تقول: "في البدء، قبل أن تسمّى السماء وأن يعرف للأرض اسم، كان المحيط وكان البحر".